

# ذاكرة للحنين والنسيان

قصة

د. محمد فاتح زغل *

*كان يقلّب أوراقاً قديمة له.. وثمّة رسائل عن حب قديم أمامه.. بينما راحت عيناه تقرآن ما وقعتا عليه.. رفع رأسه، ونظر إلى لا شيء..*

*- لماذا حين نفكّر في النسيان نغوص في التذكّر أكثر..؟*

*تمتم في سره ، بينما راحت ذاكرته ترسم له المشهد تلو المشهد.*

* أديب وباحث سوري مقيم في الإمارات العربية المتحدة

- العمل الفني: الفنان رشيد شمة

**المشهد الأول**

في مدينة ما.. في شارع ما.. كان شخص ما.. يمشي في الشارع..

وكانـت فتاة ما.. قادمة هي الأخرى من آخر الشارع..

أمـام المكتبـة توقـف.. أمـام المكتبـة توقفت،،

قرأ عناويـن المجـلات والكتب..قرأت عناوين المجلات والكتب ،،

دخـل المكتبـة وألقى التحيـة.. دخلت المكتبة وألقت التحية ،،

نظر إلى الرفوف.. تنـاول أحد الكتب.. وراح يقلب صفحاته،،

نظرت إلى الرفوف.. تناولت أحد الكتب .. وراحت تقلب صفحاته ،،

رفع رأسه.. وقعت عيناه عليها..

رفعت رأسها.. وقعت عيناها عليه..

نظر إلى عنوان كتابها..

نظرت إلى عنوان كتابه..

ابتسم لها.. وهزّ رأسه محيياً..

ابتسمت له.. وهزّت رأسها محيية

**المشهد الثاني**

هـو الآن يجلس في غرفته وحيداً .. يقرأ في ديوان شعر.. ثم يحسّ بالملل فيرميه جانباً ويخرج ليعدّ فنجاناً من القهوة ،،

هي الآن تجلس في غرفتها وحيدة.. تقرأ في ديوان شعر.. ثم تحسّ بالملل فترميه جانباً وتخرج لتعدّ فنجاناً من القهوة ،،

- فتاة مثقفة تحبّ الشعر.. قال لنفسه

- شـاب مثقـف يحـبّ الشعـر.. قالت لنفسها

كان لبقاً فقد ابتسم وحيّاني.. همست في سرها مبتسمة

كانت لبقة فقـد ابتسمت وردّت تحيّتي.. همس في سره مبتسماً

شرب قهوته.. شربت قهوتها.

**المشهد الثالث**

- ترى.. أثمّـة كتب جديدة في المكتبة..؟ سأل نفسه.

- ترى.. أثمّـة كتب جديدة في المكتبة..؟ سألت نفسها.

كانت الساعة عند العاشرة صباحاً عندما رأيتها هناك..

كانت الساعة عند العاشرة صباحاً عندما رأيته هناك..

هو صاعد من آخر الشارع..

هي نازلة من أول الشارع..

تمر سيارة رمادية إلى جانبه..

تمر سيارة رمادية إلى جانبها..

تنوء قطة بيضاء.. ينظر إليها..

تنوء قطة بيضاء.. تنظر إليه..

صوت أم كلثوم يأتي إليه من دكان لتصليح آلات التسجيل.. بعيداً..ثم يقترب.. ويقترب أكثر فأكثر.

صوت أم كلثوم يأتي إليها من دكان لتصليح آلات التسجيل.. بعيداً.. ثم يقترب.. ويقترب أكثر فأكثر .

ألقى التحية عليها وابتسم..

ألقت التحية عليه وابتسمت..

سألها عن قراءاتها الشعرية..

سألته عن قراءاته الشعرية..

تخـيّر لها ديوان شعر من المكتبة..

وقال: إن فيه تجربة جديدة تستحق الاهتمام .

تخيّرت له ديوان شعر من المكتبة.. وقالت: إن فيه تجربة جديدة تستحق الاهتمام .

**المشهد الرابع**

في غرفته سارع إلى الكتاب، وراح يقلب صفحاته، ويقرأ العناوين.. لعلها تقصد أن أقرأ هذه القصيدة.. لا.. هذا العنوان أجمل .. هكذا تبادر إلى ذهنه .

في غرفتها سارعت إلى الكتاب، وراحت تقلب صفحاته، وتقرأ العناوين.. لعله يقصد أن أقرأ هذه القصيدة.. لا.. هذا العنوان أجمل.. هكذا تبادر إلى ذهنها.

قرأ الكتاب.. حفظ منه جملاً .. فربّما يلقاها.. يجب أن يعبّر لها عمّا أعجبه فيه..

بل ليوحي لهـا بأنه عرف ما كانت تريد منه أن يقرأه.

قـرأت الكتـاب.. حفظت منـه جملاً.. فربّما تلقاه.. يجـب أن تعبّر له عما أعجبها فيه.. بـل لتوحي له أنها عرفت ما كان يريد منها أن تقرأه.

هو سأل عنها.. وعرف من تكون..

هي سألت عنه.. وعرفت من يكون..

بيتُها.. آخر الشـارع الرئيس.. في الحارة الشمالية.. تحدث إلى نفسه..

بيتُه.. خلف الشـارع الفرعي في الحارة الجنوبية.. تحدثت إلى نفسها..

في حارتهـا.. صديق أبي.. وطريق المركز الثقافي من هناك .. في سره همس.

في حارته.. صديقة أختي.. والخياطة لا تبعد أكثر من بابين.. في سرها همست.

سحب ورقـة كتب لها.. مساء الخير.. ثم رماها.

سحبت ورقة كتبت له.. مساء الخير.. ثم رمتها.

فتح باب البيت وخرج.. هل يمكن..؟

فتحـت نافـذة البيـت وجلست..هـل يمكن..؟

سمع كلباً ينبح.. مرت سيارة تحمل أكياس طحين.

سمعت كلبـاً ينبح.. مـرت سيارة تحمل أكياس طحين.

يا إلهي إنها هناك..

يا إلهي إنه هناك..

نظر إليها.. وابتسم.. سقط منه الكتاب.. فانحنى ليلتقطه.. بينما كانت نظراته تتأملها من زاوية انحناء جسمه وفتحة يديه..

نظرت إليه.. وابتسمت.. أمسكت بقبضة النافذة.. دفعته بعيداً؛ ثم مدت يدها لتغلق النافـذة.. ومن زاوية الإغـلاق نظرت إليه متأملة.. وضحكت..

**المشهد الخامس**

ثلاثون سنـة فصلتني عنهـا.. عن هذه الشعلـة التي تشعّ من حدقتيها.. عن جمالها الرائـق ، وصوتها الخافـت كنسمة، ويدها البالغة الرقة كعود نرجـس، وحديثها الملون كطقس سيمفوني..

ثلاثون سنـة.. تستيقـظ الآن .. أي سر ذاك.. ؟

ثلاثون سنة.. من الشعر والورق والشاي والقهوة ومكعبات الثلج والليل..

طـــوى أوراقه.. وذاكـــرة مستعدة للرحيل تجلس قربه..

رنّ جرس الهاتف..

- مساء الخير.. قالت له

- مساء الخير.. قال لها

- قرأتُ ديوانك الجديـــد.. كنت رائعاً.. أنت شاعر

- كلانا هو الشاعر

- أما زلت تحبّ القهوة..؟

-القهوة ذاكرتي

- ما رأيك..

- ما رأيك..

قالاها معاً.. وضحـــكا معاً.. دخل عليها طفلها.. وهو غارق في البكاء.. اعتذرت له.. وأغلقت الهاتف.

**المشهد السادس**

لا أدري كيـــف استطـــاع البحـــر في ذلك المساء أن يبقى هادئاً..!

في مدينة ما.. في شارع ما.. كان شخص ما.. يمشي في الشارع.

وكانت فتاة مـــا.. قادمة هي الأخرى من آخر الشارع..! ■■

☆ ☆ ☆